مقدمة:

إن العلاقة بين البحث والمعلمين والتعليم موضوع خلاف ونزاع وجدال كبير. وفي مجال التربية البدنية فإن الاهتمامات بخصوص البحث انصبت على ارتباطه بعمل المعلم اليومي، مركزا جزءا كبيرا من اللوم على العجز الواضح عن تغيير الممارسة على أبواب الاعتماد الزائد على المداخل العلمية الزائفة لتحليل التعليم والتعلم (Kirk & Tinning, 1990; Schemp, 1987) وتردد القضايا المعاصرة بخصوص البحث العلمي بشكل عام هذا الاهتمام بخصوص ارتباط الممارسة اليومية للمعلم والمدى الذي عنده يناقش البحث العلمي جودة كثير من الأبحاث التربوية التي أجريت في التعليم العالي (Pring, 1995) ، وقدرة البحث التربوي على التأثير في السياسة (Hillage et al., 1998) وطبيعة وغرض تلك الأبحاث (Ranson, 1996)

وسوف يستكشف هذا الفصل طبيعة الأبحاث من حيث ارتباطها بمعلم التربية البدنية في المرحلة الابتدائية وسيناقش الطرق التي للمعلمين من خلالها أن يرتبطوا بالبحث كمستهلكين ومبدعين للأبحاث على حد سواء. وسيتم ضرب بعض الأمثلة في هذا الكتاب في مواضع أخرى لمشروعات معينة أو مداخل بحثية معينة والتي يحتمل أن تثري عمل معلم التربية البدنية في المرحلة الابتدائية. وأخيرا، فإنني أعتبر العمل البحثي الكامن الذي يقدم مدخلا يمكن إدارته ويتسم بأنه مرتبط بمعلم التربية البدنية في المرحلة الابتدائية الذي يرغب في الانخراط في العمل البحثي الخاص به.

ما الغرض من البحث التربوي؟

يدرك الكثيرون أن هناك فجوة وجفوة بين البحث والممارسة داخل الفصل. فقد علق كل من هارجريفز (Hargreaves , 1996) وتولي وديربي (Tooley & Darby, 1998) وهيليج وآخرون (Hillage et al., 1998) تعليقا سلبيا على تأثير البحث التربوي على الممارسة اليومية للمعلمين. وأشاروا إلى أن البحث الذي لا يقدم إلا القليل من التغيير للممارسة العملية يعتبر بحث بلا قيمة. وتمثل أحد الحلول المقترحة في دمج المعلمين في العملية البحثية، ليقوموا بأدوار الأفراد الذين يطبقون البحث بدلا من أن تطبق لهم الأبحاث أو أن تطبق عليهم. ويفترض هذا الاقتراح أن المنتقدين على صواب فيما خلصوا إليه بخصوص أن البحث الحالي يفتقر إلى التطبيق العملي. وربما يمر بنا فيما بعد عدة أمثلة لأبحاث تفيد الممارسة رغم أنها لا تكون متاحة للمعلمين إلا من خلال وسيط – أستاذ في التعليم العالي، أو المرشدين في السلطة التعليمية المحلية، أو أي مؤسسة منخرطة في تعليم المعلم. وهذا يتضمن أيضا أن المعلمين ليسوا منخرطين في البحث في الوقت الحالي.

والحق أن كثيرا من المعلمين بالفعل منخرطون ومندمجون في البحث، ولكن على نطاق ضيق. فكثير من الأبحاث تنفذ كجزء من برامج التطوير المهني، أو كمشروعات، أو كواجبات. ولذا فإنها تميل لأن تكون على نطاق ضيق، أو محلية ومركزة على جانب من جوانب الممارسة العملية الحالية للمعلم. وبالنسبة لكثير من المعلمين لاسيما من يتبعون برامج التدريب قبل التخرج، فإن هذه العملية تبدأ أثناء تدريبهم الأولي، والذي يتضمن جزء منه بحث بعض جوانب الممارسة المهنية، وغالبا ما يقدم كبحث أو مشروع تخرج في السنة النهائية. وبالإضافة إلى ذلك فإن كثيرا من الأبحاث ضيقة المدى والتي يجريها أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي غالبا لا تنشر على المستوى المحلي، ومع ذلك فإنها تستخدم لتدريب الطلاب المعلمين أو المعلمين على برامج التطوير المهني.

في حين يجادل الباحثون المنهمكون في أبحاث تجرى على نطاق أوسع بأن دورهم هو تقديم الدليل الذي يستخدمه صانعو السياسات، وليس العمل كجماعات ضغط لصالح نتائجهم. فهم يعفون أنفسهم من فشل الآخرين من ملاحظة الدليل ملاحظة جادة. فعلى سبيل المثال هناك مجموعة معقولة من الأدلة تقترح أن الألعاب الجماعية هي الاختيار المفصل كنشاط لدى نسبة قليلة فقط من التلاميذ، وأن أعداد جوهرية من البنات يكرهنها، ومع ذلك فلا يزال موضع نقاش وجدال ما إذا كانت فشل سياسة التربية البدنية في الاستفادة من هذا الدليل هو الملوم أم أن اللوم يقع على من توصلوا إلى الدليل ومرروه لمن هم في موقع المسؤولية عن تطوير السياسة. فقد تم التركيز على الألعاب الجماعية من قبل المنهج القومي للتربية البدنية على الرغم من توافر الأدلة على أنها ذات جاذبية محدودة لكثير من التلاميذ لاسيما المراهقات.

ولذا فإن الانتقادات الحالية تركز على ما يبدو على الجودة، والمدى، والارتباط. ولكن ما الذي سيفعله مدرس الابتدائي بذلك؟ هل ينبغي ان يكون البحث ذا نطاق واسع ليكون ذا جودة عالية أو ليكون مرتبطا وذا صلة؟ ويبدو من غير المحتمل أن كثيرا من المعلمين سيكونون في وضع يمكنهم من اكتساب المعلومات والمهارات بسهولة للتعامل مع جميع موضوعات الجودة أو أن الكثيرين سيكونون قادرين على تنفيذ العمل على نطاق واسع. ومع ذلك يمكن الجدال بأن البحث الذي يدرب المعلمين غالبا ما يكون فعالا وأكثر احتمالا لأن يتم إدراكه على أنه مرتبط إذا كان محليا وذا نطاق ضيق نسبيا. ولنضرب مثلا، كنت شخصيا قادرا على استخدام بيانات ومعلومات جمعت لدرجتي العلمية مع طلابي المعلمين المتدربين تدريبا أوليا لعدة سنوات. وحقيقة أن المعلومات والبيانات جاءت من المدارس التي كان الطلاب ينفذون فيها تدريبهم الميداني أعطتها ارتباطا وحداثه لا تتوافر للمشروع القومي.

وأحد أسباب الارتباك الموجود حاليا هو الفشل في توضيح طبيعة وهدف البحث التربوي. وهذا حتما يؤدي إلى إصدار أحكام عن البحث باستخدام معايير

مرتبطة بالبحث بأهداف مختلفة تماما. ويميز رانسون (Ranson, 1996) بين من يريدون أن يكون البحث مرتبطا ارتباطا مباشرا بالممارسة ومن يريدون أن يساهموا في المعلومات من الناحية النظرية. ويعرف باسي البحث ببساطة على أنه البحث عن المعلومات :

إن الهدف من تطبيق البحث محاولة التوصل إلى بعض المعلومات، أو محاولة إظهار شيء ما لم يكن معروفا من قبل. ومهما كان التطلع للمعلومات صغيرا ورقيقا، بشرط أن يتم تنفيذه بطريقة نظامية، وبطريقة انتقادية لاسيما انتقاد الذات، فإن البحث عن المعلومات هو البحث. (Bassey, 1990)

وإذا كان هذا التعريف مقبولا فإننا يمكن أن نعثر على كثير من الأمثلة لجهود فردية ربما توصف بأنها أبحاث، وإن كانت ذات مدى ضيق، وذات مجال محدود. فمثل هذا التعريف يضفي شرعية على أن جميع المعلمين يستطيعون أن يكونوا باحثين، بل وينبغي عليهم أن يكونوا باحثين. وهذ ا يشمل أيضا مدىً واسعا ومتنوعا من أساليب البحث التي تنشأ من مدى من النماذج يضع فيها الباحثون أنفسهم كأفراد أو كمجموعات بحثية. ويلاحظ سباركس (Sparkes, 1992) تأييد المداخل البديلة للبحث في التربية البدنية التي تجلب معها تحديا للسيطرة التاريخية للنموذج التجريبي. وربما يجادل البعض بأن التحدي حظه من النجاح محدود . ويعرف سباركس النموذج على أنه نظام اعتقادي يشمل مجموعات من القيم والافتراضات التي يتبناها الأفراد فيما يتعلق بمشروع أو عمل البحث، والتي تعتبر انتاجا لتواريخ حياتهم الشخصية. والنماذج المختلفة تقود إلى مداخل مختلفة، وخرق ونتائج مختلفة، ومن ثم فإنها يحتمل أن تؤدي إلى آثار مختلفة على الممارسة. وسيلقي الجزء التالي الضوء على كيفية ظهور هذه الاختلافات والتنوعات في سياق التربية البدنية في المدرسة الابتدائية.

ما نوع البحث؟

لقد شهدت التغيرات في المداخل لدراسة التربية البدنية والموضوعات المتصلة بها – دراسات الرياضة، وعلوم الرياضة، ودراسات التحركات البشرية، وهلم جرة – في العشرين سنة الماضية حركة ثابتة نحو جوانب من الموضوع المرتبط بالعلوم البدنية وبعيدا عن هذه العناصر التي لها أساسها في علم الاجتماع. وقد كان كيرك وتيننج (Kirk & Tinning, 1990) ذوي انتقادات لاذعة للاتجاه نحو سيادة المعلومات المشتقة من العلوم البحتة، وسيادة العلمية، أو الوظيفية العلمية في التربية البدنية، بشكل عام في المجتمع الغربي.

ويناقش تشمب (Schemppv, 1989) الاعتماد على نموذج العلوم الطبيعية والذي يزعم أنه أصبح مدخلا مسيطرا على البحث في تدريس التربية البدنية. ويقترح كيرك (Kirk, 1989) أن هذه المداخل هي التي تقود إلى الانتقادات من المعلمين بأن البحث والنظرية بعيدان عن الممارسة اليومية، وغير